TOOL

CTI

CONVENTION AGAINST TORTURE INITIATIVE
CTI2024.ORG

أدوات التدريب الخاصة بمبادرة اتفاقية مناهضة التعذيب 2017/1

المقابلات التحقيقية في إطار القضايا الجنائية

إنّ إجراء المقابلات مُهمَّة جوهرية من مهام إنفاذ القانون. وقد تؤثر طريقة إجراء المقابلات تأثيراً عميقاً في نتائج أيِّ إجراءات جنائية لاحقة وفي عدالتها وفعَّاليتها وموثوقيتها. وأثناء الاستجواب، يلتزم أفراد الشرطة وسائر الموظفين المعنيين بإنفاذ القانون وكذلك المسؤولون التابعون لهيئات التحقيق باحترام وحماية الكرامة المتأصّلة في جميع الأشخاص وسلامتهم الجسدية والعقلية – بما في ذلك المجني عليهم والشهود والمشتبه فيهم. إلا أنَّ أعمال التعذيب وغيره من أشكال سوء المعاملة والإكراه والتخويف لا تزال تُمارَس في مختلف أنحاء العالم ضد الأشخاص أثناء احتجازهم واستجوابهم. إنّ وجود «ثقافة انتزاع الاعترافات» في نظام الشرطة ونظام العدالة الجنائية في عدد كبير من البلدان وغياب التدريب والخبرة في طائفة من تقنيات حلّ ملابسات الجرائم وفي طرق الاستجواب الإنسانية قد يشجعان الممارسات التعسفية لانتزاع اعترافٍ أو معلوماتٍ.

تقدّم هذه الأداة استعراضاً عاماً ومدخلاً لأحد أساليب استجواب المجني عليهم والشهود والمشتبه فيهم يُعرف باسم «المقابلة التحقيقية»، وهو تقنية أعدّها الممارسون استجابةً للعدد الكبير من الأدلّة العلمية التي تثبت أنّ التقنيات التعسفية والقسرية تؤدي إلى الحصول على معلومات غير موثوق بها. وتُستَخدم هذه التقنية عموماً في قطاع العدالة الجنائية، ولاسيما فيما يتعلّق بقضايا الإرهاب. ويمكن أيضاً أن تُستَخدم استخداماً فعّالا في الاستخبارات وفي المقابلات الأمنية. وبفضل العلاقة التي ترسيها هذه التقنية مع المستجوَبين، تبيَّن أنّها لا تمنع الممارسات التعسفية فحسب، بل تُحسّن أيضاً جَمْع المعلومات وموثوقيتها ومن ثمّ تصوُّر المواطنين للقضاء المُنصف. وبذلك فإنّها تزيد من ثقة الجمهور في إقامة العدل وتعزّز شرعية الدولة.

تُشكّل هذه الوثيقة جزءاً من مجموعة أدوات بناء القدرات ومواد التدريب التابعة لمبادرة اتفاقية مناهضة التعذيب التي أُعِدّت لمساعدة الدول على تثقيف المسؤولين وإعلامهم بالممارسات الجيّدة في مجال تنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة (UNCAT)، وكذلك إذكاء وعي عامّة الجمهور لكي يفهموا ويمارسوا الحقوق المكفولة لهم بموجب الاتفاقية.

النتائج التعليمية

عندما تستخدم هذه الأداة سيتسنى لك:

- شرح فوائد تطبيق تقنية إجراء المقابلات التحقيقية؛
- وصف مختلف مراحل نموذج إجراء المقابلات التحقيقية؛
- استخدام النموذج لإعداد سياساتٍ وممارساتٍ وتدريبٍ في مجال إجراء المقابلات التحقيقية؛
- تطبيق النهج مباشرةً أثناء المقابلات.

وستساعدك قائمة التقييم الذاتي الواردة في نهاية هذه الوثيقة على اختبار وتحديث معارفك المتعلقة بنموذج إجراء المقابلات التحقيقية الموصوف في هذه الأداة.

الهدف الرئيسي لمقابلات الشرطة

تهدف المقابلات التي تجريها الشرطة إلى الحصول على معلومات دقيقة وموثوق بها ويمكن التصرّف على أساسها، ولا تهدف إلى تأكيد افتراضات ضابط الاستجواب بشأن ما حدث ولا إلى إجبار المشتبه فيه على تقديم معلوماتٍ أو على الاعتراف. ويُعد إجراء المقابلات التحقيقية ضماناً يحمي من الاعترافات الكاذبة ومن الأخطاء القضائية. ويوجه هذا المنهج الضباط إلى إجراء المقابلات بطريقة منهجية وبروحٍ منفتحة، ويمنعهم من الوقوع في الشِراك الشائعة الناتجة عن الاستناد إلى استنتاجاتٍ سابقة لأوانها. ولا يقل أهمية عن ذلك أنّ المقابلات التحقيقية تساعد على التواصل وتدفّق المعلومات، وبالتالي على حلّ ملابسات الجريمة. ومن منظور حقوق الإنسان، فإنّ المقابلات التحقيقية تساعد ضباط الاستجواب على إعمال حقّ افتراض البراءة.

> « نحتاج إلى تغييرٍ في عقلية ضابط الشرطة للوصول إلى الحقيقة؛ لا يمكنك استخدام التعذيب أو سوء المعاملة لأنهما يؤديّان إلى عكس النتائج المتوقعة.»
>
> السيد إدسون لويس بالدان، ضابط شرطة – كلّية الشرطة بساو باولو، البرازيل (نيويورك 9 يونيو/حزيران 2017)

المقابلات التحقيقية

- تستند إلى 30 سنة من البحوث التي أُجريَت بالتعاون مع الممارسين
- يستخدمها عددٌ متزايد من أفراد الشرطة في جميع أنحاء العالم، وهي مفيدة أيضاً لموظفي الأمن والاستخبارات
- عملية وأخلاقية وأثبتت فعاليتها
- لا تَستخدِم التلاعب أو الإكراه أو التعذيب
- تقلّل من الانحياز التأكيدي والرؤية الضيقة
- تقدّم معلومات أكثر موثوقية ومعلومات استخبارية يمكن التصرّف على أساسها
- تتيح حفظ الأدلة وتمنع حدوث أخطاء قضائية
- تحسّن العلاقة والثقة بين الشرطة والمواطنين، وتعزّز سيادة القانون وبالتالي شرعية الدولة

لضمان استيفاء أعلى المعايير، يجب استعراض القواعد والممارسات التي تحكم إجراءات الاستجواب والمقابلة استعراضاً منهجيّاً (المادة 11 من اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة).

> « إنّ استجواب المشتبه فيهم جنائياً مهمّةٌ متخصِّصة تتطلّب تدريباً مُحدّداً لكي تؤدَّى بطريقة مُرضية».
>
> اللجنة الأوروبية لمنع التعذيب والمعاملة أو العقوبة اللاإنسانية أو المُهينة، التقرير الثاني عشر، الفقرة 34، 2002.

المقابلات التحقيقية: تغيير العقليات

تستخدم الدول مصطلحات مختلفة لوصف مفهوم استجواب المجني عليهم والشهود والمشتبه فيهم وبلورته. ولا تشمل هذه الأداة جميع المصطلحات والممارسات، ولكنها تميّز بين الاستجواب التقليدي والمقابلة التحقيقية وتركّز على فعالية وفوائد هذه الأخيرة.

وتنبثق الخطوات العملية المشروحة في هذه الأداة من النموذج PEACE (مُختصر لـلعبارات Planning and preparation، وEngage and explain، وAccount، وClosure، وEvaluation) الذي أُعِدَّ في المملكة المتحدة للاستجابة لعددٍ من الوقائع الموثّقة لانتزاع اعترافاتٍ بالإكراه وصدور أحكام إدانة ظالمة مرتبطة بها في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. ويمثّل نموذج إجراء المقابلات التحقيقية المشروح في هذه الأداة صيغةً مُطوَّرة للنموذج PEACE بعدما خضع للتنقيح استناداً إلى التجارب والبحوث الجديدة. ويطبّق عددٌ كبيرٌ من الدول الآن التقنيات الموصوفة في هذه الأداة، في حين تقوم دول أخرى بتجريبها أو بالتدريب على استخدامها.

وترمز أحرف النموذج PEACE إلى ما يلي:

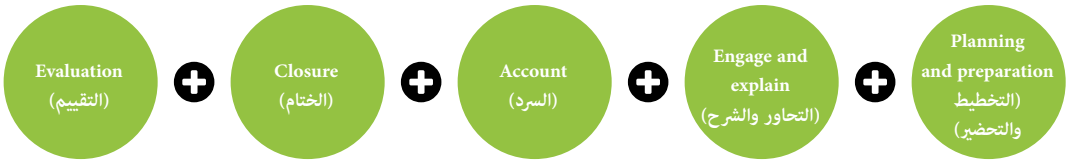

لماذا؟

إنّ الهدف الشامل لإجراء مقابلة مع المجني عليه أو الشاهد أو المشتبه فيه هو الحصول على سردٍ دقيقٍ وموثوق به للمسائل قيد التحقيق يمكنه الصمود أمام اختبار المحاكمة.

وتقلِّل المقابلات التحقيقية من احتمال وقوع الخطأ البشري ومن احتمال الحصول على الاعترافات الكاذبة نتيجة استخدام تقنياتٍ أُعِدَّتْ لجعل المشتبه فيه يؤكّد ويعترف بما يعتقد المستجوِب أنه الحقيقة. وقد وثّقت البحوث التي أُجريت لمعرفة أسباب صدور أحكام إدانة ظالمة أنّ المشاكل المتعلقة بـ«الرؤية الضيقة» أو «الانحياز التأكيديّ» (أيْ النزعة اللاشعورية إلى البحث عن المعلومات «المناسبة» فقط وتجاهل أو استبعاد المعلومات التي لا تؤكّد ما يرى المستجوِب أنه الحقيقة) هي الأسباب الرئيسية للأخطاء القضائية في أغلب القضايا.

وقد تحقق المقابلات القائمة على تقنيات إجراء المقابلات التحقيقية المشروحة في هذه الأداة الفوائد المباشرة التالية:

- تعزيز ثقة الجمهور في جهاز الشرطة
- دعم حُجج الادعاء، وبالتالي كسب الوقت وتوفير الأموال والموارد
- الجَمْع المنهجي لأدلة موثوق بها من أجل تحسين توجيه التحقيق

> « إنّ فرض الضغوطات على الدماغ بهدف إجبار الشخص على الاعتراف أو انتزاع المعلومات منه أمرٌ يتفاعل سلباً مع الحافز والمزاج والذاكرة والإدراك، ومن ثَمَّ فإنّه يقوِّض التحقيقات.» شين أومارا، أستاذ البحوث التجريبية على الدماغ، كلّية ترينيتي في دبلن، ومؤلف «لماذا لا يُجدي التعذيب»
>
> (*Why Torture Doesn't Work*)
> (مطبعة جامعة هارفرد، 2015).

كيف؟

إنّ إجراء المقابلات التحقيقية هو نهجٌ غير قسريّ يستخدِم الأسئلة المفتوحة لتحسين التواصل وتدفّق المعلومات. وتُسمى جميع المقابلات، سواء أُجريَتْ مع المجني عليهم أو الشهود أو المشتبه فيهم، «مقابلاتٌ تحقيقية». وتُفحَص المعلومات المُجمَّعة أثناء هذه المقابلات في ضوء الحقائق المتاحة، وتتيح الأسئلة المُعدَّة جيّداً توضيح ما قد يُساء فهمه وإزالة الغموض. ويساعد الكشف الاستراتيجي عن الأدلة أثناء المقابلة على التمييز بين المعلومات الكاذبة والمعلومات التي يمكن التحقّق منها.

وللاحتفاظ بذهن منفتح ولتجنُّب الرؤية الضيقة ولزيادة الدقة والموثوقية، يحتاج ضابط الشرطة – كأيّ مُتقصّي حقائق آخر – إلى أدواتٍ ومنهجيّة للتقليل من احتمال وقوع خطأ بشري. ويهدف النموذج المقدَّم في هذه الوثيقة إلى التقليل من مثل هذه الاحتمالات عن طريق تقديم منهجية لطريقة إجراء المقابلات.

مراحل المقابلة

يشمل نموذج إجراء المقابلات الخطوات التالية:

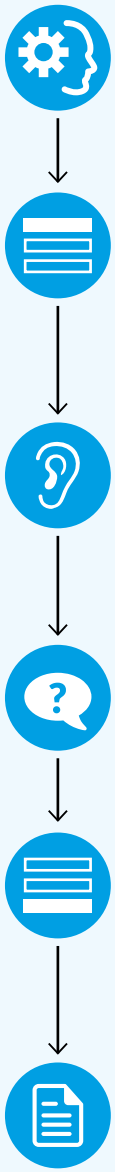

الشكل 1 – النموذج P.E.A.C.E كما صوّره معهد الشرطة النرويجي أثناء برنامجه التدريبي المعنون C.R.E.A.T.I.V.[1]

[1] يرتبط المُختصَر المساعِد للذاكرة CREATIV بالقيم والمبادئ التي يقوم عليها المنهج المذكور أعلاه. Communication (التواصل)، Rule of law (سيادة القانون)، Ethics and empathy (الأخلاقيات والتعاطف)، Active consciousness (الوعي النشط)، Trust through openness (الثقة عن طريق الانفتاح)، Information and Verified through science (المعلومات والتحقق العِلميّ).

المراحل المترابطة للمقابلة

تتمثل إحدى النقاط الأساسية للمقابلات التحقيقية في أنّ كلّ مرحلة تؤثّر تأثيراً عميقاً في المرحلة التالية. ويجوز اعتبار المقابلة سلسلة من ردود الأفعال التي تزيد من احتمال البناء الناجح للعلاقة بفضل التخطيط والتحضير المنهجيَّيْن والمستفيضَيْن، ومن ثمَّ تزيد من احتمال الحصول على سردٍ حر أوّل مفصّل في حال كانت مرحلة التقديم وبناء علاقة ودية مستوفية للمعايير المهنيّة. وإذا فشلت المرحلة الأولى، فسيعيق ذلك عملية التواصل طوال المقابلة، مما سيُضعف جودة المعلومات المجمَّعة وسيؤثر في مرحلتيْ التقصي والكشف الاستراتيجي. وأمّا إنهاء المقابلة بشكل مهنيّ وإيجابيّ، فإنه يزيد من احتمال تحقيق تواصلٍ ناجح في المستقبل ويساهم أيضاً في إقامة وصون علاقة جيّدة بين الشرطة والمواطنين. وسيزيد تقييم الأدلة بطريقة مهنية من إمكانية نجاح التحقيق، في حين يؤدّي تقييم أداء المستجوِب إلى تحفيزه مهنيّاً وتحسين إنتاجيته في المقابلات التالية، بل وزيادة درجة رضاه عن العمل.

فوائد التسجيل الصوتي و/أو المرئي

لقد وجدت دول عديدة أنّ التسجيل الصوتي و/أو المرئي للمقابلات يحقّق نتائجَ فعّالة، سواء كضمان للحماية من سوء المعاملة أو كطريقة لتحسين جَمْع الأدلة، أو كأداة تُستخدم للأغراض التدريبية. وبفضل التقدّم التكنولوجيّ الحالي وتَيسُّر النفاذ إلى التكنولوجيات المحمولة الرخيصة وسهلة الاستخدام، أصبح تسجيل المقابلات مُمكناً في عدّة بيئات، وله مزايا عديدة من بينها:

- يُخفّف التسجيل من العبء المعرفي الزائد لأنه يتيح للمستجوِب التركيز على المقابلة نفسها بدلاً من كتابة جميع المعلومات يدوياً أو تدوين رؤوس الأقلام.
- يتيح التسجيل للمستجوِب استخدام استراتيجيات الإصغاء الفعال وتحسين التواصل مع الشخص المستجوَب. وعليه، يتسنى للمستجوَب تقديم سرد بدون قطع كلامه بشكل متكرّر.
- تحافظ التسجيلات على أهم الأدلة – أي الأدلة الشفهية – في صيغتها الأصلية. وهي تقدّم تمثيلاً كاملاً وصالحاً للمعلومات المقدّمة ولكيفية إجراء المقابلة (تحفظ الأدلة وتقلص إلى أدنى حدّ الأخطاء القضائية).
- قد يؤدي عدم تسجيل المقابلات أو عدم تسجيلها بالكامل إلى توسيع نطاق الممارسات المُسيئة أو مزاعم التعرض لسوء المعاملة.
- يمكن للتسجيلات أنْ تحمي المستجوِبين من أيّ اتهامات كاذبة بممارسة سوء المعاملة أو الإكراه أو التلاعب، أو بعدم اتباع القواعد الإجرائية.
- يمكن للتسجيلات أنْ تساعد على تنظيم المعلومات المقدّمة وبالتالي تحليلها. وثمة حلول برمجية لهذا الغرض.
- تُعتبر التسجيلات أدواتٌ رائعة لتقييم المقابلات وللحصول على تعقيبات بشأنها، وللتدريب ولإجراء البحوث، مما يؤدي إلى تحسين الكفاءة المهنية لجهاز الشرطة.

المرحلة الأولى: **التخطيط والتحضير**

إنّ مرحلة التحضير والتخطيط من أهمّ المراحل في المقابلة التحقيقية؛ وبدونها قد تفشل المقابلة قبل بدايتها. التخطيط هو عملية الاستعداد لإجراء المقابلة، ذهنياً واستراتيجياً. ويشمل التحضير أيضاً ما يجب إعداده قبل المقابلة، مثل مكان المقابلة وبيئتها، وكذلك المسائل التقنية والإدارية.

وكان يزعم بعض ضباط الاستجواب المشغولين والمثقلين بعبء العمل أنهم لا يملكون الوقت الكافي للتخطيط والتحضير، ولكن بعدما طبقوا تقنية المقابلات التحقيقية، تبيّن لهم أنّ التخطيط السليم يسمح لهم في الواقع بكسب الوقت. ويقلِّل التحضير الجيّد من احتمال إعادة استجواب المجني عليهم، و/أو الشهود و/أو المشتبه فيهم. ويقلِّل التحضير الجيّد أيضاً، كجزءٍ من المقابلة المستوفية للمعايير المهنية، من احتمال رفع الدعاوى المهدِرة للموارد والتي قد تُرفَض في المحاكم بسبب ضعف القيمة الإثباتية للأدلة أو بسبب بعض الجوانب التقنية.

العناصر الأساسية للتخطيط الجيّد

- الحصول على أكبر قدرٍ ممكن من المعلومات الأساسية المتعلقة بالحادث قيد التحقيق، بما في ذلك جميع المعلومات ذات الصلة بالشخص المستجوَب.
- فهم الغرض من المقابلة استناداً إلى خطة تحقيق تقرّ بجميع الافتراضات ذات الصلة والمتضاربة التي ينبغي استكشافها، بما في ذلك إمكانية أن يكون المشتبه فيه بريئاً.
- تحديد ما يلزم من معلوماتٍ إضافيةٍ والكيفية المُثلى للحصول عليها
- الامتثال للتشريعات والمبادئ التوجيهية والقواعد المرتبطة بها
- تحضير الجوانب التقنية للمقابلة (تحضير البيّنات، واللوجستيات، والموقع، والمقاعد، والمحامي، والمترجم الفوري، والتأكد من كفاءة المعدات، وما إلى ذلك).

المرحلة الثانية: **التقديم وبناء علاقة ودية**

إنّ الخطوة الأولى لتشجيع الحوار مع الشخص المستجوَب هي التحاور معه لإرساء علاقة ودية. يُعدّ التحاور والشرح من أهم العناصر التي تضمن إجراء مقابلة مُثمِرة.

في البداية يجب إبلاغ المستجوَب بسبب إحضاره للاستجواب وبالإجراءات المطبَّقة. ويجب أن يكون ضباط الاستجواب مدركين أنّ الخضوع للاستجواب قد يجعل الشخص متوتراً، وأنّه قد يتعين عليهم فتح حوارٍ يُخفف من توتّر الشخص المستجوَب. ولكن ينبغي ألّا يسعى المستجوِبون إلى إقامة «صداقة» زائفة مع الأشخاص المستجوَبين. فالهدف من ذلك هو التحاور مع المستجوَب لإرساء علاقة مرتاحة يسودها روح التعاون – وتحفّز الذاكرة والتواصل – طوال مدّة المقابلة.

أثبتت البحوث أنّ نسبة كبيرة من مرتكبي الجرائم مستعدّون لتقديم سرد دقيق عن الحادث، بل وحتى للاعتراف مباشرةً، في حين يكون بعضهم في حيرة وتردد عندما يُستدعَوْن للاستجواب. وقد يؤدي استخدام نهج عنيف أو عُدوانيّ أو مُهين من جانب ضباط الاستجواب إلى امتناع المشتبه فيه عن التعاون وعن تقديم أيّ معلومات؛ هذا وقد وُجد أنّ تطبيق تقنيات إجراء المقابلات التحقيقية من شأنه أن يشجّع مرتكبي الجرائم على التعاون وتقديم معلومات، بل وحتى على الاعتراف بجرائمهم.

هولمبرغ وكريستيانسون (2002)، دراسة استقصائية سويدية لـ83 سجيناً أُدينوا بالقتل أو بجرائم جنسية؛ كيبيل وهورن ومازيرول (2006)، دراسة استقصائية أسترالية لأشخاص أُدينوا بارتكاب جرائم جنسية؛ النتائج نفسها في دراسة سنوك وبروكس وبول الاستقصائية (2015) التي شملت 100 سجين في كندا.

عند استجواب المشتبه فيهم، تقع على المستجوِب مسؤولية خاصة وهي أنْ يُقيِّم ما إذا كان المشتبه فيه مُستضعَفاً، وأن يشرح له حقه في التزام الصمت وحقه في الاستعانة بمحامٍ وسائر حقوقه، وذلك بطريقة مفهومة وصريحة.

ويرحّب المستجوِبون الذين يعملون بالمعايير المهنية بحضور محامي الدفاع بوصفه مَصْدراً للقانون، وشاهداً على عدالة المقابلة، وضماناً يمنع سوء الفهم. وتُفيد أجهزة الشرطة التي اعتمدت المقابلات التحقيقية كممارسة معيارية بأنّ المنازعات بين المحامين والشرطة قد تراجعت بشكل كبير – إلى حد أنها لم تعد تحدث تقريباً.

عند بداية الحوار ينبغي أن يسعى المستجوِب إلى ما يلي:

- بناء علاقة متعاطفة ومحترمة منذ البداية
- شرح أسباب المقابلة ومعلوماتها الأساسية والحقوق المرتبطة بها وشكلياتها وإجراءاتها، بما في ذلك تقديم معلومات عن التسجيل الصوتي/المرئي.
- إرساء بعض القواعد الأساسية عن طريق إخبار الأشخاص المستجوَبين بما يلي:
  - أنّ ما يقولونه مُهمٌّ لذا يتعيّن عليهم الإفادة بكلّ ما في وسعهم وبذل قصارى جهدهم لعدم نسيان أيّ شيء
  - ألا يعدّلوا ما يُدلون به، حتى وإنْ اعتقدوا أنّ بعض المعلومات لا تمتُّ بصلة للمسألة قيد التحقيق.
  - أنّهم بحاجة إلى التركيز لأنّ استذكار بعض الأمور قد يكون أمراً صعباً
  - أنه ينبغي لهم أن يتكلّموا بحُرّية إذا قام ضابط الاستجواب بما يلي: طرح سؤالٍ لا يفهمونه؛ طرح سؤال لا يستطيعون الإجابة عنه؛ إساءة فهم ما قاله المستجوَبون، طرح أسئلة موحية أو غير مناسبة
- التأكّد من أنّ الشخص المستجوَب قد فهم ما ورد أعلاه وأنه يعلم بأنّ ذلك يسري على هذه الحالة

تُرسي هذه المرحلة أسُس المقابلة وتتيح لكلٍّ من المستجوِب والمستجوَب بلورة فهمٍ مشترك للمقابلة ولدينامياتِها. وتُتيح هذه المرحلة أيضاً للمستجوِب تعديل لغته للتأكّد من أنّ المستجوَب قد فهم ما قيل له وتقييم قدرات المستجوَب التواصلية.

مثال على بداية جيّدة للحوار

الضابط: «إنّ الطريقة التي اعتزمتُ اتّباعها لإجراء هذه المقابلة هي إبلاغك بحقوقك القانونية أولاً (وواجباتك عند الاقتضاء). وبعد ذلك إذا كنتَ مستعداً للإدلاء بأقوالك، سأطلب منك أن تسرد لي روايتك لما حدث. سأُصغي إليك ولن أقاطعك. لدينا مُتسع من الوقت، فلسنا مستعجلين. ثم بعد ذلك، عندما تشعر بأنك قدّمت جميع التفاصيل الضرورية – أي التفاصيل التي تعتقد أنّها أساسية، سأتابع ذلك بطرح أسئلة أراها مهمّة. رجاءً لا تتردد في أن تطرح أسئلة – في أيّ مرحلة – عن أيّ شيء يقلقك أو أيّ تساؤل قد يتبادر إلى ذهنك.»

ما العمل إذا تذرّع المشتبه فيه بالحق في التزام الصمت؟ أظهرت عمليات التقييم أنّ التخطيط الاستراتيجي والتحضير الواردين في المرحلتين 1 و2 ليسَا مضيعة للوقت، حتى في الحالات التي يتذرّع فيها المشتبه فيه بحقه في التزام الصمت. ويشكّل كلّ تفسير معقول جرى تحديده مساراً مُهمّاً من مسارات التحقيق، ويتعيّن استكشافه (والتحقيق فيه) من خلال مصادر بديلة للمعلومات. فعدم التحقيق في التفسيرات البديلة التي تشير إلى البراءة يلحق ضرراً بالمتهمين الأبرياء ويتيح الفرصة للمتهمين المذنبين لكي يقدّموا تفسيراً كاذباً، وإنْ كان معقولاً.

المرحلة الثالثة: **السرد الحر الأوّل**

بعد بناء علاقة ودّية وشرح القواعد الأساسية للمقابلة، ينبغي للمستجوِبين الآن أن يسمحوا للمستجوَبين بتقديم سرد (حرّ) للقضية (أو الحدث) قيد التحقيق بدون مقاطعتهم. ومن الضروري أن تُتاح للمستجوَب فرصة أن يقدم «روايته لما حدث»، قبل أن تُطرح عليه أسئلة أكثر تفصيلاً.

وأشارت بحوث مستفيضة إلى أنّ المستجوِب الذي يتّبع الخطوات المبيَّنة أدناه يزيد بشكل كبير من فرص الحصول على سرد دقيق ومفصّل من المجني عليهم والشهود والمشتبه في ارتكابهم الجريمة.

الخطوات الرئيسية الثلاث التي يتبعها المستجوِب:

- تقديم وشرح شكل السرد الحرّ غير المنقطع والغرض منه
- ترك المبادرة («إعطاء الكلمة») للمجني عليهم أو الشهود أو المشتبه فيهم (حسب الاقتضاء)
- ممارسة الإصغاء الفعال عندما يقدّم الشخص المستجوَب سرده الحر وغير المنقطع

اِفْعَل ... يساعد الإصغاء الفعال المستجوِب على بناء علاقة ودّية وعلى الحصول على سرد كامل ودقيق.

ومن المفيد للغاية في هذه المرحلة من المقابلة اتّباع النهج الذي يستخدم العبارات **أخبرني، اشرَح، صِف، أرني – بالتحديد، بالتفصيل، بالضبط**». وللمساعدة على استذكار هذا النهج يمكن استخدام المختصَر المساعِد للذاكرة «**TED'S PIE**»:

يساعد اتّباع هذا النهج على بناء علاقة ودّية ويمنع إفساد المستجوِب للسرد الذي يقدّمه الشخص المستجوَب. ويعتمد نهج TED'S PIE على استخدام أسلوب التشجيع/الدعوة للحصول على السرد.

لا تفعلْ ... من المسائل الموثّقة جيداً أنّ المستجوِبين الذين يطرحون أسئلة مُغلقة أو موحية يزيدون من احتمال إفساد سرد الشخص المستجوَب. ويُقصد بالإفساد تشويه الذكريات الحقيقية والتسريب غير المتعمَّد لتفاصيل متعلقة بالجريمة، ومن شأن ذلك أن يُضعف القيمة الإثباتية للتصريحات اللاحقة.

مثال على طريقة جيدة لتقديم السرد الحر الأوّل:

الضابط: «إذاً إنْ لم تكن لديك أسئلة إضافية عن المقابلة، أوّد أن أسمع ردّك على الاتهامات الموجهة إليك. أرى في الملف أنّك أخبرتَ الضابط الذي أوقفك أنّك تصرفت دفاعاً عن النفس. الآن، أود أن أسمع سردك المفصّل لما حدث. من المهم أن تذكُر جميع التفاصيل. لا تنسَ أيَّ شيء. فما قد يبدو لك غير مهمّ قد يكون مهماً لسير التحقيق. أمْهِلك ما يلزمك من الوقت. ولن أقاطعك. عندما تكون مستعداً، رجاءً صِف لي بالضبط وبالتفصيل ما حدث في الليلة الماضية. أخبرني بكلّ شيء.»

> « إنّ مهارات الإصغاء هي على الأرجح أهمّ المهارات التي يمتلكها كلّ مستجوِبٍ جيّد وكذلك أكثرها تعرّضاً للاستخفاف».
>
> البروفيسور رايْ بول، في كلمة رئيسية ألقاها في المؤتمر الدولي لعلم النفس الذي عُقد في يوكوهاما باليابان في يوليو/تموز 2016.

المرحلة الرابعة: التوضيح والإفصاح

بعد الإصغاء الفعال للسرد الحر الأوّل، يصبح الوقت مناسباً لكي يستفيض المستجوِب في الحديث عن جميع المسائل ذات الصلة في القضية ويستوضحها؛ كلّ مسألة على حدة. وينبغي للمستجوِب أنْ يقدّم المواضيع ذات الصلة بطرح الأسئلة من نوع TED'S PIE، وعندما يحتاج إلى مزيدٍ من التفاصيل بشأن موضوعٍ معيّن، ينبغي له أن يشجّع الشخص المستجوَب على تقديم المزيد من المعلومات وأن يطرح عليه أسئلة مفتوحة واستقصائية، مثل الأسئلة التي تبدأ بـ: ماذا؟، ولماذا؟، ومتى؟، وكيف؟، وأين؟، ومَن؟. ويجوز للمستجوِبين أن يغيّروا نهجهم استناداً إلى الموضوع الذي يريدون استكشافه.

وسيشجّع اتّباع هذا النهج عند إجراء المقابلات الشخص المستجوَب على تقديم سرد مفصّل، وسيقلّل بالتالي من عدد الأسئلة التي قد يتعيّن على المستجوِب طرحها. ويُعتبر هذا الأمر مفيداً لأنّ كُلَّما طرح المستجوِب سؤالاً فإنّه يزيد من احتمال أن يوحي للمجني عليه أو الشاهد أو المشتبه فيه بالجواب (وإفساد القيمة الإثباتية لسرده).

أمثلة على أسئلة استقصائية جيّدة:

الضابط: «قُلتَ لي إنّ الرجل الذي كان يرتدي ملابس بيضاء تعدّى عليك بسكّين. قُلْ لي المزيد وبالتفصيل وبالتحديد: كيف اقترب منك؟»

الضابط: «قلتَ لي أنه كان هناك عدّة أشخاص – شهود عيان – أثناء الحدث. رجاءً اشرح لي بالتحديد أين كانوا يقفون في ذلك الحين».

الضابط: «قلتَ لي إنّ امرأة حاولتْ منع الرجل من التعدي عليك. رجاءً صِف هذه المرأة بالتفصيل.»

الكشف الاستراتيجي عن الأدلة: متى وكيف يجب الكشف عن الأدلة

يتمثل أحد الأجزاء الرئيسية **من مرحلة التوضيح** والإفصاح في تحديد توقيت وكيفية كشف المستجوِبين عن الأدلة أثناء مقابلاتهم مع المشتبه فيهم. فإذا تعرّض مشتبهٌ فيه للتوقيف، فمن الواضح أنّ الشرطة تملك حتماً معلوماتٍ تشير إلى ارتكابه للجريمة – وإلّا فإنّ توقيفه يكون غير قانوني وما كان ينبغي أن يتم على الإطلاق.

وتتطلب المقابلات التحقيقية الكشف الاستراتيجي عن الأدلة. ويقدّم هذا النموذج تعليمات واضحة وإيجابية عن كيفية تأجيل المحققين لعملية الكشف عن الأدلة إلى هذه المرحلة من المقابلة، وعن مدة تأجيله، والأهم من ذلك عن أسباب تأجيله.

فقد يؤدي الكشف المبكر عن الأدلة إلى حرمان المشتبه فيهم الأبرياء من فرصة إثبات براءتهم، وقد يسمح لمرتكبي الجرائم بتكييف تفسيراتهم مع الأدلة المقدّمة.

> « إنّ التقصّي الاستراتيجي والكشف عن أدلة محتملة يتيحان للضباط الاستكشاف المتعمّق للسرد الذي يقدمه المستجوَب قبل الانتقال إلى الموضوع التالي، مما يساعد على ضمان احترام افتراض البراءة مع تعزيز الحُجج التي تدين المتهم المذنب بمنعه من القيام لاحقاً باختلاق ذريعة.»
>
> مقرّر الأمم المتحدة الخاص السابق المعني بمسألة التعذيب، خوان مندیز، تقرير إلى مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، (UN Doc. A/71/298)، 2016

❶ قبل بداية المقابلة: حدّد جميع الأدلة المحتملة المتاحة

قبل دخول المستجوِب إلى قاعة المقابلة، يجب أن يكون قادراً على الإجابة عن السؤال التالي: ما هي المعلومات التي أعتزم التعامل معها بشكل استراتيجيّ؟

❷ قبل بداية المقابلة: حدّد جميع التفسيرات الممكنة للأدلة (الافتراضات البديلة)

في هذه المرحلة، يجب أن يؤخذ في الاعتبار أنَّ المشتبه فيه قد يكون بريئاً. ومن أجل تحديد جميع التفسيرات الممكنة للأدلة المتاحة، يجب أن يطرح المستجوِبون على أنفسهم السؤال الحاسم التالي: إذا كان المشتبه فيه بريئاً، فما هي التفسيرات (البديلة) الممكنة؟

مثلاً، لنتصوّر أنّ الشرطة عثرت على بصمات المشتبه فيه في مسرح الجريمة. فإنّ هذا دليل محتمل؛ إذاً ما هي الأسباب البديلة الممكنة التي قد تفسّر العثور على هذه البصمات في مسرح الجريمة؟

❸ جَمْع المعلومات (تأجيل الكشف عن الأدلة)

يجب التَحقق من التفسيرات البديلة. سيسمح المستجوِب ببدء السرد الحر الأوّل وسيصغي إليه، ثم سيتقصى المعلومات التي قد تثبت أو تدحض التفسيرات المختلفة الممكنة التي حُددت في المرحلة الثانية.

وفي المرحلة الثالثة، يبحث المستجوِب عن المعلومات المتوافقة مع البراءة، علماً منه بأنّه إذا تعذّر العثور على مثل هذه المعلومات، فإنّ الشكوك ستتعاظم.

مثلاً، في القضية المذكورة أعلاه والمتعلقة بالبصمات، يتعيّن على الضابط أن يطرح أسئلة مثل: هل زار المشتبه فيه مسرح الجريمة قبل ارتكاب الجريمة؟ وهل ذهب إلى هناك بعد ارتكاب الجريمة؟ وهل استطاع بأيّ شكل من الأشكال أن يدخل إلى المكان بصورة قانونية؟ وإذا كانت البصمة على زجاجة أو علبة سجائر، فهل المشتبه فيه يدخّن أو يعمل في متجر بقالة قريب من مسرح الجريمة؟ وإذا لم يُعثر على مثل هذه المعلومات، فستتعاظم الشكوك تجاه المشتبه فيه. ويُبيّن ذلك مدى أهمية جَمْع هذه المعلومات قبل الكشف عن الأدلة المحتملة.

أمّا إذا كشف الضابط عن البصمة في وقت مبكر جدّاً، فقد تُتاح لمرتكب الجريمة فرصة لاختلاق تفسير كاذب، ولو كان معقولاً، وقد يكون من الصعب – بل ومن المستحيل أحياناً- دحضه. ولتفادي مثل هذه الحالة، يتعيّن على الضباط استكمال هذه المراحل بدقة شديدة قبل تقديم الأدلة على النحو المبيَّن في المرحلة الرابعة.

ويجب أن يخضع أيّ تفسير يقدّمه المشتبه فيه (صادقاً كان أم كاذباً) قبل الكشف عن الأدلة (المرحلة الرابعة) لاستكشافٍ مفصّل وفوريّ ويجب الاستناد في ذلك إلى نهج TED`S PIE وإلى الأسئلة الاستقصائية التي تبدأ بـ: متى، ماذا، كيف، أين، مَن، لماذا. وسيتيح ذلك للشرطة الحصول على معلومات كافية لضمان تبرئة المشتبه فيهم الذين لم يرتكبوا الجريمة ولتعزيز الأدلة التي تدين مرتكبي الجريمة.

❹ الكشف عن الأدلة المتحملة

عندما يكون المستجوِب واثقاً من أنه قد استكشف كلّ تفسير بديل معقول وأنّه قد تحقّق من ذلك بالاستناد إلى سرد الشخص المستجوَب نفسه (استكمال المرحلة الثالثة)، فينبغي له أن يقدّم الأدلة المحتملة.

وقبل الكشف عن الأدلة، ينبغي للمستجوِب أولاً أن يلخّص سرد المشتبه فيه وأن يدعو بعد ذلك المشتبه فيه إلى إعادة تأكيد الملخّص أو رفضه أو تصحيحه.

على سبيل المثال: هل فهِمْتُك جيّداً عندما قُلتَ إنّك لم تذهب إلى مسرح الجريمة على الإطلاق؟ فمن خلال تلخيص سرد المشتبه فيه، يمكن منع أيّ سوء فهم وتصحيحه إذا لزم الأمر. وبالطبع، يكتسي ذلك أهميةً بالغة إذا كان المشتبه فيه بريئاً. وفي الوقت نفسه، تُعتبر هذه المرحلة مهمة استراتيجياً لأنها تمنع المشتبه فيهم الذين ارتكبوا الجريمة من الإدعاء في وقت لاحق بأنهم قد أُسيء فهمهم. وأصبح المستجوِب الآن في وضع يتيح له الكشف عن الأدلة المحتملة التي بحوزته.

وعندما يقدّم المستجوِبون الأدلة، ينبغي لهم أن يحافظوا على هدوئهم ويتحدثوا بنبرة صوت محايدة وأنْ يدعوا بعد ذلك المشتبه فيه إلى تقديم تفسيرٍ للأدلة المقدّمة. وينبغي تجنُّب الشماتة أو التبجح لأنه يمكن أن يقوّض التواصل اللاحق، بغضّ النظر عن براءة المشتبه فيه أو ارتكابه للجريمة.

وعندما تُقدَّم الأدلة، يجب أن يكون المستجوِب مستعداً للإفصاح عن كيفية ووقت حصوله عليها، مما يتيح لمحامي المشتبه فيه إجراء تقييم منصف لموثوقية مصادر المستجوِب ولأشكال تحيّزه وتحامله الممكنة.

وبعد طرح السؤال، ينبغي للمستجوِب أن يُمهل الشخص المستجوَب وقتاً للإجابة. وإذا كان المستجوَب بريئاً – ولم يُكشف عن ذلك في المرحلة الثانية والثالثة – فيجب إمهال المشتبه فيه وقتاً للتركيز لكي يقدّم تفسيراً وتوضيحاً. ويسري الشي نفسه إذا كان المشتبه فيه مُذنباً. فهو يفكر الآن في الخيارات المتاحة. هل سيقدّم سرداً صادقاً، أم سيأتي بتفسير بديلٍ لم يُنظَر فيه بعدُ؟ إنّ المقابلة التحقيقية الاستراتيجية المستوفية للمعايير المهنية والتي تُجرى وتُخطَّط بشكل مُحكَم تُقلِّل من الفرص المتاحة للمشتبه فيه المرتكب للجريمة لكي ينفذ مثل هذه الاستراتيجية الدفاعية.

مثال على حُسن تقديم الأدلة (أو الكشف عنها): الضابط: «هل فهِمْتُك جيّداً عندما قُلتَ إنّك لم تذهب إلى مسرح الجريمة على الإطلاق؟»
المشتبه فيه: نعم، هذا صحيح.
الضابط: وإنك لم يسبق لك أنْ حِزت سلاحاً نارياً؟
المشتبه فيه: نعم، هذا صحيح.
الضابط: إذاً أرجو أن تفسر لي لماذا وجد المحققون في مسرح الجريمة بصماتك على سلاحٍ ناريّ عُثِر عليه في مسرح الجريمة؟»

المرحلة الخامسة: اختتام المقابلة

تُظهر عمليات تقييم مقابلات الشرطة أنّ الضباط غالباً ما يتسرّعون في إنهاء المقابلة، على الرغم من أهمية مرحلة اختتام المقابلة وضرورة إجرائها بشكل منهجي.

يهدف اختتام المقابلة إلى ما يلي:

- التأكّد من وجود فهم متبادل لسرد الشخص المستجوَب من خلال مراجعته وتلخيصه.
- التحقّق من تغطية جميع الجوانب تغطيةً كافيةً، وذلك بالتحقّق من أنّ المستجوَبين قد قدّموا جميع المعلومات التي يستطيعون ويريدون تقديمها
- ضمان سلامة ونزاهة المقابلة وشرعية أيّ إجراءات جنائية لاحقة، وترك قنوات التواصل مفتوحة في المستقبل.

وعندما توشك المقابلة على الانتهاء، ينبغي أنْ يشرح ضابط الاستجواب ما سيحدث بعد ذلك وأن يقدّم للمستجوَب المعلومات المناسبة بشأن المراحل التالية في العملية، منها على سبيل المثال: إبلاغ المشتبه فيهم باحتمال حبسهم احتياطياً، وإخبار الشهود بالحضور أو عدم الحضور إلى المحكمة، وما إلى ذلك.

وأخيراً، ينبغي أن يُسأل الشخص المستجوَب إذا كانت لديه أيّ أسئلة لضابط الاستجواب في تلك المرحلة. وفي حال كان التواصل ينطوي على إكراه، فلن يكون لذلك أيّ أثر حقيقي، وسيكون ضعيفاً إن وُجِد. أما إذا كانت المقابلة قد أُجريت وفقاً لما هو مبين أعلاه، فسيعزّز هذا السؤال تصوّر الشخص المستجوَب بأنّه عومل بشكل منصف.

المرحلة السادسة: **التقييم**

يُقرُّ نهج المقابلات التحقيقية بأنّ إجراء المقابلات تمرينٌ عمليّ يتطلب طائفة متنوعة من المهارات، وعلى رأسها مهارات التواصل. ويُعدّ التقييم والتعقيب عنصريْن أساسيين في التدريب على مهارات.

يتمثل التقييم في قيام المستجوِب (والمشرف عليه/كبير ضباط الاستجواب) بما يلي:

- فحص مدى تحقيق أهداف المقابلة ومقاصدها
- استعراض عملية التحقيق في ضوء المعلومات المجمّعة أثناء المقابلة
- التفكير في مدى جودة إجراء المقابلة وتحديد جوانبها الإيجابية (مثل التدفق الجيّد للمعلومات)، والتفكير في التحسينات التي يجب إدخالها في المستقبل

وإذا خضعت المقابلة لتقييم مُشرفٍ أو كبير ضباط أو زميلٍ، فيجب التأكد من إتاحة المستجوِبين فرصة التعليق على أدائهم، وذلك قبل أنْ يمنحهم المُقيِّم نقاطاً، على أن يبدأوا بالجوانب الإيجابية ثم يتطرقوا إلى الجوانب التي يمكن تحسينها في المرة المقبلة.

وفيما يتعلق بالتقييم، تجدر الإشارة إلى أنّ البحوث قد خلُصت إلى أنّ ضباط الاستجواب لا يُجيدون عموماً تقييم قدراتهم الاستجوابية. لذلك فإنّ إجراء التقييم مع أحد الزملاء أمرٌ مفيد. وقد يكون الزميل شريكاً أو مُشرفاً أو كبير ضباط. وبيت القصيد هنا هو استعراض المقابلة مع شخص صادق وصريح ويتعامل مع التقييم في إطار من السرية. وإذا كانت المقابلة قد سُجّلت صوتياً أو مرئياً، فإنّ ذلك أداة جيّدة للمساعدة في إجراء التقييم.

القائمة المرجعية للتقييم الذاتي

1. ما هي الفوائد الرئيسية لاستخدام تقنية إجراء المقابلات التحقيقية؟
2. ما هي المراحل الست لنموذج إجراء المقابلات التحقيقية؟ وما هو الهدف من كلّ مرحلة؟
3. عند بدء التواصل وإرساء بعض القواعد الأساسية، ما الذي ينبغي قوله للشخص المستجوَب؟
4. ما هو الرد المناسب إذا تذرّع المشتبه فيه بحقه في التزام الصمت؟
5. ما هو نهج TED'S PIE؟
6. ما الذي ينبغي تفاديه عند الحصول على السرد الحر الأوّل؟
7. ما هو الهدف من الكشف الاستراتيجي عن الأدلة، وما هي مراحله الرئيسية الأربع؟
8. ما سبب أهمية اختتام المقابلة؟ وكيف يجب إجراؤه؟
9. ما الذي يمكن كسبه من تقييم المقابلة؟
10. ما هي فوائد تسجيل المقابلات؟

مصادر أخرى:

كلية الشرطة (المملكة المتحدة). إجراء المقابلات التحقيقية (Investigative interviewing). متاح على الرابط التالي:
https://www.app.college.police.uk/app-content/investigations/investigative-interviewing/#professionalism-and-integrity

منديز، خ. (2016). البروتوكول العالمي للاستجواب. التقرير المرحلي للمقرر الخاص المعني بمسألة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة. الدورة الحادية والسبعون. البند 69 (ب) من جدول الأعمال المؤقت. متاح على الرابط التالي:
http://ap.ohchr.org/documents/dpage_e.aspx?si=A/71/298

راشلو، أ. (2017)، من استجواب المشتبه في ضلوعهم بالإرهاب إلى إجراء مقابلات معهم: نحو عقلية جديدة.
(From interrogating to interviewing suspects of terror: Towards a new mindset)،
مدوّنة مختصة، الرابطة الدولية لإصلاح قانون العقوبات، متاحة على الرابط التالي:
https://www.penalreform.org/blog/interrogating-interviewing-suspects-terror-towards-new-mindset

روبرتس، ك. (2012). استجواب الشرطة للمشتبه فيهم جنائياً: منظور تاريخيّ (Police interviewing of criminal suspects: a historical perspective)،
المجلة الإلكترونية لعلم الجريمة، 2012، 17-1. متاحة على الرابط التالي:
https://docs.wixstatic.com/ugd/b93dd4_4d3efb74bb084b2d8a51fd292d1db0fa.pdf

شولوم، م. (2005). إجراء المقابلات التحقيقية: المؤلفات المختصة، (Investigative interviewing: The literature)
ولينغتون، نيوزيلندا: مكتب مفوض الشرطة، 2005. متاح على الرابط التالي:
https://pdfs.semanticscholar.org/d5f0/0ecbc12dbe7d999a4aef05206472519b766f.pdf

ميلن، ر. (2016) دليل مركز CREST: المقابلة المعرفية. (CREST guide: the cognitive interview)
مركز البحوث والأدلة المتعلقة بالتهديدات الأمنية، 2016. متاح على الرابط التالي:
https://researchportal.port.ac.uk/portal/files/4070266/16_006_01.pdf

تُكمِّل هذه الأداة الوثيقة CTI/UNCAT Implementation Tool 2/2017 المتعلقة بتنفيذ ضمانات الحماية خلال الساعات الأولى من الاحتجاز لدى الشرطة. وتشتمل ضمانات الحماية خلال الساعات الأولى من الاحتجاز لدى الشرطة على ما يلي: الإخطار بالحقوق، والاتصال الفوري بمحامٍ، والخضوع لفحص طبي مستقل، والاتصال بأحد أفراد الأسرة أو طرف ثالث، والتسجيل الصوتي والمرئي لعمليات الاستجواب، والإشراف القضائي، وتقييد سجلات الاحتجاز.

CONVENTION AGAINST TORTURE INITIATIVE
CTI2024.ORG

مبادرة اتفاقية مناهضة التعذيب
مركز جان جاك غوتييه
ص. ب. 137 – 1211 جنيف 19 – سويسرا
41+ (0)22 919 2167
info@cti2024.org
http://www.cti2024.org/

POLITIHØGSKOLEN

UiO : Norwegian Centre for Human Rights
University of Oslo

أعدّه المركز النرويجي لحقوق الإنسان التابع لجامعة أوسلو لصالح مبادرة اتفاقية مناهضة التعذيب بالتعاون مع معهد الشرطة النرويجي.

«تعرب مبادرة اتفاقية مناهضة التعذيب عن امتنانها للدعم الذي قدمه مركز إعمال حقوق الإنسان بجامعة بريستول ولجهوده التنسيقية وإسهاماته في إعداد أدوات التنفيذ والتدريب الخاصة بالمبادرة/الاتفاقية».

© 2017، مبادرة اتفاقية مناهضة التعذيب (CTI). جميع الحقوق محفوظة. يجوز اقتباس المواد الواردة في هذا المنشور أو إعادة طبعها، شرط ذكر مصدرها. ينبغي توجيه طلبات الحصول على الإذن لنسخ المنشور أو ترجمته إلى مبادرة اتفاقية مناهضة التعذيب. تستند الأمثلة المستخدمة في هذه الأداة إلى معلومات متاحة للجمهور. ترحب المبادرة بأيّ تصحيحات أو تحديثات حسب الاقتضاء.

تخطيط وتصميم: BakOS DESIGN